القنوت في صلاة الوتر[1]

القنوت في تعريف الفقهاء هو: «اسم للدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام».

وهو مشروع في صلاة الوتر بعد الركوع على الصحيح من قولي العلماء.

ومشروع للنوازل قبل الركوع في الركعة الأخيرة من الفريضة أو بعده، وهل هو في جميع الفرائض، أم في الجهرية منها، أم فيها سوى الجمعة؟ فيه خلاف.

والصحيح أنه بعد الرفع من الركوع في آخر ركعة، من كل فريضة من الصلوات الخمس، حتى يكشف الله النازلة، ويرفعها عن المسلمين.

وأما القنوت في صلاة الصبح دائماً في جميع الأحوال، فكان مشروعاً، ثم نسخ، فلا يُشرع في قول جماعة من العلماء، منهم الحنفية، والحنابلة، وقال الحنفية، وجماعة من المحققين: هو بدعة؛ لأَن حديث: أن النبي ﷺ مازال يقنت حتى فارق الدنيا، ضعيف لاتقوم به حجة.

إذا عُلِمَ ذلك فالكلام هنا في القنوت في صلاة الوتر، وفيه مبحثان:

(١) الموسوعة الفقهية: ٣٤/ ٥٧ ـ ٦٨.

المبحث الأول

في المشـــــروع

وفيه مطلبـــان:

المطلب الأول: المشروع في دعاء قنوت الوتر وضوابط الزيادة فيه:

وهو على النحو الآتي:

١ ـ على الإمام القـانت في: «صلاة الوتر» التـزام اللفظ الوارد عن النبي ﷺ الذي عَلَّمـه سبطـه الحســن بـن علي ـ رضي الله عنهمـــا ـ فيدعـو به بصيغة الجمع مراعاة لحال المأمومين، وتأمينهم عليه، ونصه:

«اللهم اهدنـا فيمن هديت، وعـافنا فيمن عـافيت، وتولنا فيمـن توليت، وبارك لنـا فيما أَعطيت، وقنا شَـرَّ ما قضيت، فإِنَّـك تقضي ولا يُقضى عليك، وإِنَّه لا يَـذِلُّ من واليت، وَلَا يَعِزُّ مـن عاديت، تبـاركت ربنا وتعاليـت. لا منجا منك إِلَّا إليك».

وعن أَمير المـؤمنين علي بن أبي طـالب ـ رضي الله عنه ـ أَن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره:

«اللهم إِنَّا نعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك، لا نُحْصي ثَنَاءً عليك. أَنت كما أَثنيت على نفسك».

ثم يصلـي على النبي ﷺ كما ثبت عن بعض الصحـابة ـ رضي الله عنهم ـ في آخر قنوت الوتر، منهم: أُبي بن كعب، ومعاذ الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ.

وَلْيُتَنَبَّه فإن ضبط لفظ: «ولا يَذِلُّ» بفتح الياء، وكسر الذال. وضبط لفظ: «ولا يَعِزُّ» بفتح الياء وكسر العين.

٢ ـ ليحرص الإمام على أداء الدعاء بالكيفية الشرعية، بضراعة، وابتهال، وصوت بعيد عن التلحين والتطريب.

٣ ـ إن زاد على الوارد المذكور، فعليه مراعاة خمسة أُمور:

أَن تكون الزيادة من جنس المدعو به في دعاء القنوت المذكور.

وأَن تكون الزيادة من الأَدعية العامة في القرآن والسنة.

وأَن يكون محلها بعد القنوت الوارد في حديث الحسن، وقبل الوارد في حديث علي ـ رضي الله عنهما ـ.

وأَن لا يتخذ الزيادة فيه شعاراً يداوم عليه.

وأَن لا يطيل إطالة تشق على المأمومين.

٤ ـ قد يحصل من الأمور العارضة ما يأتي لها الداعي من إمام وغيره بدعاء مناسب لها، كالاستغاثة حَالَ الجَدْبِ، لكن لا يجعله راتباً لا يتغير بحال.

وَمَنْ أَعْمَلَ هذا الفرق بين الدعاء الراتب، والدعاء لأَمْرٍ عارض؛ كسب السنة، وانحلت عنه إشكالات كثيرة.

ومن ذلك دعاء أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو:

«اللهم إِنَّا نستعينك ونستغفرك، ولا نكفرك، ونؤمن بك، ونخلع من يفجرك، اللهم إِيَّاك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونَحْفِد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إِنَّ عذابك الجِدَّ بالكفَّار مُلْحِق.

اللهم عَـذِّب الكفـرة الذيـن يصـدون عن سبيلك، ويكـذبـون رسلك، ويقـاتلـون أولياءك، ولا يـؤمنـون بـوعدك، وخـالف بيـن كلمتهم، وألـق في قلوبهم الرعب، وألق عليهم رجزك وعذابك، إلهَ الحق.

اللهم اغفـر للمـؤمنين والمـؤمنـات، والمسلمين والمسلمـات، وأصلح ذات بينهم، وألِّـف بين قلـوبهـم، واجعل فـي قلـوبهم الإيمـان والحكمـة، وثبتهم على ملـة رسول الله ﷺ، وأوزعهم أن يوفـوا بعهدك، الذي عـاهدتهم عليه، وانصرهم على عدوك وعدوهم، إلهَ الحق، واجعلنا منهم».

ومن العلماء من قال بعمومه في الوِتر، وهو مذهب الحنابلة.

□ □ □

المطلب الثاني

ذكر بعض الأدعية الجامعة من القرآن والسنة لمن رغب الزيادة في القنوت

أسوق هُنا دعاء القنوت المتقدم في أول القنوت وآخره، ثم أسوق بعض الأدعية الجامعة من القرآن والسنة؛ ليختار منها من رغب الزيادة في القنوت ماشاء، وسياق المرويات منها بصيغة الجمع، حتى تناسب الدعاء بها من الإمام، وهي:

١ ـ «اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أَعطيت، وقنا شَرَّ ما قضيت، فإِنَّك تقضي ولا يُقضى عليك، وإِنَّه لايَذِلُّ من واليت، وَلاَ يَعِزُّ من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت. لا منجا منك إِلَّا إِليك».

٢ ـ «اللهم اقْسِمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك مَا تُبَلِّغُنَا به جنتك، ومن اليقين ما تُهون به علينا مصائب الدنيا. اللهم متِّعنا بأَسماعنا وأَبصارنا وقواتنا ما أَحييتنا، واجعله الوارث مِنَّا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا

---

١ ـ عن الحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «علَّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن، فذكره» رواه الأربعة، وفي رواية للطبراني: «أن أقول في الوتر» وهي من رواية عمرو بن مرزوق الباهلي عن شعبة بن الحجاج، وقد خالف فيها جميع الرواة، كما جاء من طرق أخرى بلفظ: «القنوت» وبلفظ «قنوت الوتر» وكلها ضعيفة، لكن عمل السلف على هذا، والله أعلم.

٢ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قَلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم...» رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم، وهو حديث: حسن.

في ديننـا، ولا تجعل الـدنيـا أكبر هَمِّنـا ولا مبلغ علمنـا، ولا تُسَلِّط علينـا من لا يرحمنا».

٣ ـ ﴿ربنا إننا آمَنَّا فاغفرْ لنا ذنوبنا وَقِنَا عذابَ النَّار﴾.

٤ ـ ﴿ربنا آمَنَّا فاغفرْ لنا وارحمنا وأنت خيرُ الراحمين﴾.

٥ ـ ﴿ربنا اغفرْ لنـا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثَبِّتْ أقـدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾.

٦ ـ ﴿ربنا آتنا من لَدُنْكَ رحمةً وهَيِّءْ لنا من أمرنا رَشَدَاً﴾.

٧ ـ ﴿ربنا اغفـرْ لنا ولإخواننا الذين سَبَقُونـا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

٨ ـ ﴿ربنا عليك توكَّلنا وإليك أَنَبْنَـا وإليك المصير. ربنا لا تجعلنا فِتنة للذين كفروا واغفرْ لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

٩ ـ ﴿ربنـا لا تُزِغْ قلوبنـا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وهَـبْ لنا مِنْ لَدُنْـكَ رحمةً إنك أنت الوَهَّاب﴾.

١٠ ـ ﴿ربنا آتنا في الدنيا حَسَنَةً وفي الآخرة حَسَنَةً وقنا عذاب النار﴾.

---

٣ ـ آل عمران/ ١٦.

٤ ـ المؤمنون/ ١٠٩.

٥ ـ آل عمران/ ١٤٧.

٦ ـ الكهف/ ١٠.

٧ ـ الحشر/ ١٠.

٨ ـ الممتحنة/ ٤ ـ ٥.

٩ ـ آل عمران/ ٨.

١٠ ـ البقرة/ ٢٠١.

١١ ـ «اللهــم اغفرْلنا، وارْحَمْنا، واهْدِنا، وعَافِنا، وارْزُقْنا».

١٢ ـ «اللهــم إنا نسألك الهُدَى والتُّقى والعَفَافَ والغِنَى».

١٣ ـ «اللهم يا مُصَرِّفَ القلوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنا على طاعتك».

١٤ ـ «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنا على دينك».

١٥ ـ «اللهم لك أسْلَمْنا، وبك آمَنَّا، وعليـك تَوَكَّلنا، وإليك أَنَبْنَا، وبك خَاصَمْنَا، اللهم إنَّـا نعوذُ بِعِزَّتِكَ لاإلهَ إلاأنتَ أن تُضِلَّنـا، أنْتَ الحيُّ الذي لايموتُ، والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُون».

١٦ ـ «اللهم أَصْلِـحْ لنا ديننا الـذي هو عِصْمَةُ أَمـرنا، وأَصْلِحْ لنا دنيـانا التي فيها مَعَاشُنـا، وأصلحْ لنا آخرتنا التي فيها مَعَادُنـا، واجْعَل الحياةَ زيادةً لنا في كل خير، واجْعَل الموتَ راحةً لنا مِنْ كلِّ شر».

١٧ ـ «اللهم إنا نَسْأَلُكَ من الخيرِ كُلِّهِ عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمْنَا منه وما لم نَعْلَمْ، ونعوذُ بك من الشر كله عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمْنَا منه وما لم نَعْلَمْ.

---

١١ ـ عن طارق بن أشيم الأشجعي الصحابي ـ رضي الله عنـه ـ قال: كان الرجل إذا أسلم عَلَّمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات: «اللهم اغفرلي...» رواه مسلم. =

١٢ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني..» رواه مسلم.

١٣ ـ عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم يا مصرف...» رواه مسلم.

١٤ ـ عن شهر بن حوشب، قال: قلت لأم سلمة ـ رضي الله عنها ـ: يا أم المؤمنين: ما أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: «يـا مقلب...» رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي الباب: عن عائشة و...

١٥ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت...» متفق عليه.

١٦ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ. رواه مسلم.

١٧ ـ عن عـائشة ـ رضي الله عنهـا ـ أن النبي ﷺ قال لهـا، قولي: «اللهم إني أسألـك...» الحديث. رواه أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وغيرهـم بسند صحيح.

ونسألكَ الجَنَّةَ وما قَرَّبَ إليها مِنْ قولٍ أو عمل، ونعوذ بك من النارِ وما قَرَّبَ إليها مِنْ قولٍ أو عمل.

ونسألكَ من خيرِ ما سألكَ عَبْدُكَ ونَبِيُّكَ، ونعوذُ بِكَ من شر ما استعاذك منه عبدُكَ ونبيكُ.

ونسألكَ أن تجعلَ كُلَّ قضاءٍ قَضَيْتَهُ لنا خَيراً».

١٨ ـ «اللهم إنا نسألكَ العَفْوَ والعافيةَ والمُعَافاةَ في الدنيا والآخرةِ. يا ذا الجَلال والإِكْرامِ. يا حيُّ يا قيوم».

١٩ ـ «اللهم إنا نعوذُ بك من جَهْدِ البَلاءِ، ودَرَكِ الشَّقَاءِ، وسُوءِ القَضَاءِ، وشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ».

٢٠ ـ «اللهم إنا نعوذُ بك من زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عافيتكَ، وفَجْأَةِ نِقْمَتِك، وجميعِ سَخَطِك».

٢١ ـ «اللهم إنا نعوذُ بك من العَجْزِ والكسلِ والجُبْنِ والبُخْلِ والهَمِّ وعذابِ القبر. اللهم آتِ نفوسَنَا تَقْواها، وزَكِّها أنت خيرُ مَنْ زَكَّاها، أنت وَليُّها ومَوْلاها. اللهم إنا نعوذُ بك من عِلْمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُسْتَجَابُ لها».

---

١٨ ـ مجموع من أحاديث ثلاثة كلها في: «سنن الترمذي».

١٩ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ. متفق عليه.

٢٠ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ. رواه مسلم.

٢١ ـ عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ. رواه مسلم.

٢٢ ـ «اللهم إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العفوَ فاعفُ عَنَّا».

٢٣ ـ «اللهــم آتنا في الـدنيا حَسَنَةً، وفـي الآخرةِ حَسَنَةً وقِنَـا عذابَ النار».

٢٤ ـ «اللهم إنـا نعوذُ بِرِضَاكَ مـن سَخَطِك، وبُمعَافاتكَ مِـنْ عُقُوبَتِكَ، وبِكَ مِنْكَ، لانُحصِي ثَنَاءً عليك، أنت كما أثْنَيْتَ على نَفْسِك».

٢٥ ـ «اللهم صَلِّ على النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وصحبه وَسَلِّمْ».

□ □ □

---

٢٢ ـ عن عائشة رضي الله عنهـا ـ قالت: قلت يا رسول الله: إن علمت ليلة القـدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم...» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وغيرهم.

٢٣ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ. متفق عليه.

٢٤ ـ عن علي بـن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول في آخـر وتره: «اللهـم...» رواه الأربعة وغيرهم.

٢٥ ـ ثبتـت الصلاة على النبي ﷺ فـي آخر القنوت مـن فعل السلف ـ رضـوان الله عليهم ـ كمـا في إمامة أبي بن كعب الناس في رمضان في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ رواه ابن خزيمة، وإمامة معاذ الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ كما في كتاب: «فضل الصلاة على النبي ﷺ» لإسماعيل القاضي.

المبحث الثاني
في التصحيح

وهو في التنبيهات الآتية:

□ التنبيه الأَول

أنَّ التلحين، والتطريب، والتغني، والتقعر، والتمطيط في أَدَاءِ الدُّعَاءِ، مُنْكَرٌ عَظِيم، يُنَافِيْ الضَّرَاعَة، والابْتِهَال، والعُبُوديَّةَ، وداعِيَةٌ للرياء، والإِعجاب، وتكثير جمع المعجبين به.

وقد أَنكرَ أَهل العلم على من يفعل ذلك في القديم، والحديث.

فعَلَى مَنْ وَفَّقَهُ الله ـ تعالى ـ وصَارَ إماماً للناسِ في الصلوات، وقنتَ في الوترِ، أَن يجتهدَ في تصحيح النية، وأَن يُلْقِيَ الدُّعاء بصوته المعتاد، بضراعة وابتهال، مُتَخَلِّصاً مِمَّا ذُكِرَ، مجتنباً هذه التكلفات الصارفة لقلبه عن التعلُّق بربه.

□ التنبيه الثاني

يُجْتَنَبُ جَلْبُ أَدعية مخترعة، لا أَصل لها، فيها إِغْراب في صيغتها وسجعها، وتكلفها؛ حَتَّى إِنَّ الإِمام ليتكلف حفظها، ويَتَصَيَّدهَا تَصَيُّداً؛ ولذا يَكثُرُ غلطه في إِلقائها، ومع ذلك تراه يلتزمها، ويتخذها شعاراً،

وكأنما أَحيا سُنَّة هجرتها الأُمَّة.

□ التنبيـــه الثالث

وَيُجْتَنَبُ التـزام أَدعيـة وردت في روايـات لاتصح عن النبي ﷺ؛ لأَن في سندِها كَذَّاباً، أَو متَّهماً بالكذب، أَو ضعيفاً لايُقْبَلُ حديثه، وهكذا.

منها حديث فُـرَاتٍ عن علي ـ رضي الله عنه ـ قـال: قال لي علي: «ألا يقوم أحد فيصلـي أَربع ركعات، ويقول فيهن مـا كان رسول الله ﷺ يقول: «**تَمَّ نُـوْرُكَ فَهَدَيْتَ فَلَكَ الحَمْـدُ، عَظُمَ حِلْمُكَ فَعَفَوْتَ فَلَـكَ الحَمْدُ**... إلى قوله: **وَلاَيَبْلُغُ مِدْحَتَكَ قَوْلُ قَائِلٍ**». رواه أَبو يعلى بسند ضعيف؛ لأَن فيه عدة علل، منهـا أَن فُرَاتَ بن سلمـان لَمْ يَلْقَ عليـاً ـ رضي الله عنـه ـ فهـو منقطع الإِسناد.

ومع ذلك تَسْمَعُ من يُجْهدُ نَفْسَهُ بهذا الذكر، فَيَغْلَطُ فيه، ثُمَّ يَغْلَط، فهو في مجاهدة مع ذاكـرته حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ، ولو أَخذ بـالصحيح الثابت عن النبي ﷺ وهو ذكـر مبارك سهل ميسور؛ لكـان أَبَـرَّ وأَبْرَكَ وأَقـربَ للإِجابـة، وتأَسِّياً بالنبي ﷺ بما دعا به رَبَّه ـ سبحانه ـ.

ومنها: ما يُـروى عن أنس مرفوعاً أن الـرسول ﷺ مَرَّ بأعرابي وهـو يدعو في صلاتـه وهو يقول: «**يا من لاتـراه العيون، ولاتخالطـه الظنون... إلى أن قال: يعلم مثاقيل الجبـال ومكاييل البحار... الحديث**». أخرجـه الطبراني في «الأوسط» بسند فـرد فيه من لايُعرف، وهو شيخ الطبرانـي، وتدليس أحد رواته، مع ثقته.

ومنها ما يُروى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنهم ـ قال: «نزل جبريل على النبي ﷺ حتى ذكر كلمات من كنوز العرش، وهي:

«**يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة... إلى قوله: أسألك يا ألله أن لا تشوي خلقي بالنار**» رواه الحاكم في المستدرك وقال: «صحيح الإسناد، فإن رواته كلهم مدنيون ثقات».

وقد تعقبه الحافظ الذهبي في ترجمة: أحمد بن داود الصنعاني في: «الميزان: ١/ ١٣٦» فقال: «أتى بخبر لا يُحتمل، ثم ذكره» ثم علق على قول الحاكم المذكور بقوله: «قال الحاكم: صحيح الإسناد. قلت: كلا.

قال: فرواته كلهم مدنيون. قلت: كلا.

قال: ثقات: قلت: أنا أتهم به أحمد.

وأما أفلح بن كثير، فذكره ابن أبي حاتم، ولم يتكلم عنه بشيء» انتهى.

وفيه أيضاً عنعنة ابن جريج، وهو مدلس.

فانظر ـ نعوذ بالله من الخذلان ـ كيف يتعلق الداعي بحديث هذه منزلته، ويهجر الدعاء بآيات القرآن العظيم، وما يثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ؟

ومنها: التزام ما ورد بسند فيه واهي الحديث، فلا يصح، ومنه: «**اللهم لا تدع لنا ذنباً إلاَّ غفرته، وَلاَ هَمّاً إلاَّ فَرَّجْتَه، ولا ديناً إلاَّ قَضَيْتَه، ولا حاجة من حوائج الدُّنيا والآخرة إلا قضيتها برحمتك، يا أَرحم الراحمين**». وهو دعاء حسن لا يظهر فيه محذور.

لكن يحصـل الغلط مـن جهات هـي: هجـر الصحيح، والتـزام مـا لم يصح، والزيادة فيـه بلفظ محتمل، وهو: «**في مقامنا هذا**» فيحتمل أن يكون شرطاً على الله فهو باطل، ثم الزيادة بسجعات أضعافها.

وهكـذا من تتـابع سجع متكلَّـف، ودعاء مختـرع لبعض المستجـدات حتى قاربت العشرين على هذا الرَّوي، والنمط.

☐ **التنبيـــــه الرابع**

وَيُجْتَنَـبُ قَصْـدُ السَّجـع فـي الـدعـاء، والبحث عـن غرائب الأَدعية المسجوعة على حرف واحد. وقـد ثبت في: «صحيح البخاري» ـ رحمه الله تعالى ـ عـن عكـرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قـال له: «**فانظر السجع فـي الدعـاء، فاجتنبـه، فإنـي عهدت رسـول الله ﷺ وأَصحابـه، لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب**».

ومن الأَدعية المخترعة المسجوعة: «**اللهم ارحمنا فوق الأَرض، وارحمنا تحت الأَرض، وارحمنـا يوم العـرض**». ولا يرد علـى ذلك ما جـاء في بعض الأدعية النبوية من أَلْفَاظ مُتَوَاليَـة، فهي غير مقصودة، ولا متكلفة؛ ولهذا فهي في غاية الانسجام.

☐ **التنبيـــــه الخامس**

وَيُجْتَنَبُ اختـراع أَدعية، فيهـا تفصيل أَو تشقيـق في العبارة؛ لِمَا تُحْدِثُهُ مِنْ تحـريك العـواطف، وإِزعاج الأَعضـاء، والبكاء، والشهيـق، والضجيج، والصَّعَـق، إِلى غيـر ذلـك مِمَّـا يَحْـدُثُ لِبَعْـضِ النَّـاسِ حَسَبَ أَحـوالهـم،

وقُدُرَاتِهِم، وطاقاتهم، قُوَّةً، وَضَعْفاً.

ومنه: تضمين الاستعـاذة بالله من عذاب القبـر، ومن أَهوال يوم القيـامة، أَوصافاً وتفصيلات، ورَصَّ كلمات مترادفات، يُخْرِجُ عن مقصود الاستعاذة، والدُّعاء، إِلى الوعظ، والتخويف، والترهيب.

وكل هـذا خـروج عن حـدِّ المشروع، واعتـداء على الـدعاء المشـروع، وهجـر له، واستـدراك عليه، وأَخشى أَن تكـون ظـاهرة ملل ، وربمـا كان لـه حكم الكلام المتعمد غير المشروع في الصلاة فيُبْطِلُها.

□ التنبيـــــه السادس

وَيُجْتَنَبُ التطويل بما يشق على المأمومين، ويزيد أَضعافاً على الدعاء الوارد، فيحصل من المشقة، واستنكار القلوب، وفُتُـوْرِ المأمومين، مما يؤدِّي إِلى خطر عظيم، يُخْشى على الإِمام أَن يلحقه منه إِثم.

وقد اختلفـت الرواية عـن الإِمام أَحمد ــ رحمه الله تعـالى ـ فـي مقدار القنوت في الوتر على ثلاث روايات:

١ ـ بقدر سورة: (إِذا السماء انشقت).

٢ ـ بقدر دعاء عمر ـ رضي الله عنه ـ ويأتي.

٣ ـ كيف شاء.

لكن إذا كـان القانت إِمامـاً فلا يختلفـون في منع التطويل الـذي يشق بالمأمومين.

وإِذا كـان النبي ﷺ قال لمعـاذ ــ رضي الله عنه ــ لمـا أَطال في صـلاة

الفريضة: «أفتانٌ أنت يا معاذ؟» فكيف في هذه الحال؟!

ولهذا جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لايحب المعتدين﴾ [الأعراف/ ٥٥]. أي المتجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره، ومنه: الإسهاب فيه؛ ولهذا كان بعض العلماء لايزيد على كلمات معدودات في الدعاء، يدعو بها بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق، وأن الإسهاب من جملة الاعتداء، يشهد لذلك آخر سورة البقرة: ﴿ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ الآية، فإن الله ـ سبحانه ـ لم يخبر في موضع من أدعية عباده بأكثر من ذلك وقد جمعت صيغتي الإيجاب والنفي، واستوعبت جميع ما يحتاج إليه العبد في دنياه وآخرته[1].

□ **التنبيه السابع**

وَيُجْتَنَبُ إيراد أدعية تَخْرُجُ مَخْرَجَ الدُّعاء، لكن فيها إدْلاَلٌ على الله ـ تعالى ـ حتى إنَّك لتسمع بعضهم في أول ليلة من رمضان يدعو قائلاً: «**اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا**» وقد يدعو بذلك في آخر رمضان، ولا يقرنه بقوله: «**وتجاوز اللهم عن تقصيرنا، وتفريطنا**».

□ **التنبيه الثامن**

وَيُتْرَكُ زيادة أَلفاظ لاحاجة إليها، في مثل قول الدَّاعي: «**اللهم انصر المجاهدين في سبيلك**» فيزيد: «**في كل مكان**» أو يزيد: «**فوق كل أرض وتحت كل سماء**» ونحو ذلك من زيادة أَلفاظٍ لا محل لها، بل بعضها قد

---

(١) شرح الإحياء: ٥/ ٣٨.

يحتمل معنى مرفوضاً شرعاً.

ومن الأَلفاظ المولَّدة لفظة: «الشَّعْب» في الدُّعاء المخترع: «**واجعلهم رحمة لشعوبهم....**».

وهو من إطلاقات اليهود من أنهم: «شعب الله المختار».

ولا يلتبس عليك هذا بلفظ: «الشعب» في باب النسب، فلكل منهما مقام معلوم.

ومن الدعاء بأساليب الصحافة والإعلام، قول بعض الداعين للأمة الإسلامية: «وهي تَرْفُلُ في ثوب الصحة والعافية» فمادة: «رَفَلَ» مدارها على التبختر، والخيلاء، فانظر كيف يحصل الدعاء بأن تقابل النعمة بالمعصية ؟

وهكذا يفعل تجاوز السُّنن، وهجر التفتيش بكتب لسان العرب.

□ التنبيه التاسع

ولا يأتي الإمام بأَدعية ليس لها صفة العموم، بل تكون خاصة بحال ضُرٍّ، أَو نُصْرَةٍ، ونحو ذلك.

ومنه الدُّعاء بدعاء نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ في سورة طه/ ٢٥ ـ ٣٥ إلى قوله: ﴿واجعل لي وزيراً من أَهلي هارون أَخي﴾ إلى آخر الآيات.

ومنه: دعاء الإمام بمن معه: «اللهم أحينا ما كانت الحياة خيراً لنا، وَتَوَفَّنَا إذا كانت الوفاة خيراً لنا».

لما ثبت في الصحيحين من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال

النبي ﷺ: «لا يتمنين أحـدكم الموت من ضُرٍّ أَصـابه، فإن كان لابد فـاعلاً، فليقل: «اللهم أَحيني...» الحديث.

وعليـه ترجم النـووي ــ رحمه الله تعـالى ـ فـي «الأَذكار» بقـوله: «بـاب كراهية تمني الموت لضر نزل بالإنسان وجوازه إذا خاف فتنة في دينه».

وما ورد بنحوه مطلقاً، محمول على هذا المقيد.

☐ التنبيـــــه العاشر

ليس من حق الإمـام أَن يُرَاغِمَ المأمـومين، ولا أن يُضَارَّهم بوقوف طويل يشق عليهم، ويُؤَمِّنُـوْنَ مَعَهُ على دعاء مخترع لم يرد عـن النبي ﷺ أَو يكونوا في شك من مشروعيته، وبينما هو في حـال التغريد والانبساط فهم في غاية التحرج والانزعاج.

خير الأمور الوسط الوسيط   وشَرُّها الإفراطُ والتفريط

ولو سمـع بعض الأَئمة مـا يكون من بعض المأمـومين بعد السـلام من تألـم، وشكوى مـن التطويل، وأَدعيـة يـؤمن عليهـا ولا يعرفهـا، وتستنكرهـا القلوب؛ لرجع إلى السنة من فوره.

فيجب على من وفقه الله وأَمَّ الناس في الصـلاة، أَن يتقيد بالسنة، وأَن لاَّ يُوَظِّـفَ مزاجه، واجتهـاداته، مع قصور أَهليتـه، وأَن يستحضر رهبة المـوقف من أنه بيـن يـدي الله ـ تعالى ـ وفي مناجاتـه، وأَنه في مقـام القُدْوةِ، وَتَلَقُّن المسلمين للقنوت المشروع، ونشره، وتوارثهم له.

وكان دأب العلماء الاقتصاد في الدعـاء، ويرون الإسهاب فيه من جملة

الاعتداء[1]، ويشهد لـذلك آخر سورة البقـرة: ﴿ربنا لاتؤاخذنـا إن نسينا أو أخطأنا﴾ الآيـة، فإن الله سبحانه لم يخبـر في موضع من أدعية عبـادة بأكثر من ذلك، كما تقدم بيانه في: «التنبيه السادس».

ومن اسْتَحْضَرَ هذه المعاني في قلبـه، لم يقع في شيء من ذلك، نسأل الله ـ سبحانه ـ البصيرة في دينه، وأن لا يجعله ملتبساً علينا فَنَضِل.

كما يجب علـى المأموم إحسان الظن بـإمامه فـي الصلاة، وأن يتحلى بالتحمـل، وأن لا يبادر إلى الاستنكـار إلاَّ بعد التأكُّـد من أَهل العلـم الهداة، ومن ثم يكون تبـادل النصيحة بالرفق واللين، والبعـد كل البعد عن التشنيع، وإلحاق الأَذى به، وَمَنْ فَعَلَ فقد احتمل إِثْماً.

ولقد لـوحظ أن بعض المـأمومين لا يتـابع الإمـام برفع اليـدين للـدعاء والتأمين، وهذه مشاقة وحرمان.

☐ التنبيه الحادي عشر

لاَيُعْـرَفُ في سُنَّة دعـاء القنـوت استفتاحـه بغير مـا ذكر فـي «المطلب الأول» من «المبحث الأول» مـن تعليم النبي ﷺ ـــ لسبطه الحسن ـــ رضي الله عنه ـــ: «اللهم اهدنا...». ومـا ثبـت عن أميـر المؤمنين عمر ـــ رضي الله عنه ـ: «اللهم إنا نستعينك...».

والصلاة كلهـا حمد وثنـاء على الله تبارك وتعـالى، ودعاء القنـوت بعد الرفع من الركوع بعد الحمد في قول المصلي: «اللهم ربنا ولك الحمد...».

لهذا فلم أر في المأثور، ولم أسمـع فيما جرى عليه العمل، أن المصلي

---

(١) انظر: شرح الإحياء: ٥/ ٣٨.

يجلب أنواعاً من المحامد يستفتح بها دعاء القنوت في صلاة الوتر، ولم أُحِسُّ لهذا بأثر ولا أثارة إلا من بعض الأئمة بعد عام ١٤٠٠، والاستدلال له بحديث فضالة بن عبيد ـ رضي الله عنه[1] ـ وهو من إقامة الدليل على غير موضعه، فلا يستدل به هنا، كما هو ظاهر.

والله أعلم.

□ □ □

(١) تقدم في أول مبحث: أذكار طرفي النهار ص٣٣٤.